الحديد والنار، وتجعل من بلادهم ملجأ لمتشردي اليهود ووطناً قومياً لهم»[٣٦]. وبقي حزب الاستقلال يركز على ان الاستعمار البريطاني هو أصل الداء الذي ابتليت به فلسطين، وهو الذي جرّ الصهيونية وراءه واتخذها لعبة يستعين بها على استمرار بقائه في فلسطين، داعياً «كل عربي في هذه البلاد الى تجديد العهد للكفاح ضد الاستعمار وأساليبه، وضد الصهيونية وغزوتها، وضد الخائبين من أبنائها، بكل قوة وثبات وعزم وايمان»[٣٧].

ترك هذا الموقف الحازم الذي اتخذه التيار القومي العربي انعكاسات مباشرة على مجمل توجهات الحركة الوطنية العربية الفلسطينية، التي صارت تنتقل، مدفوعة بضغط الجماهير الشعبية، الى ميادين الصدام مع سلطات الانتداب البريطاني. ومنذ مطلع ربيع العام ١٩٣٣، وضعت أسس سياسة مقاطعة حكومة الانتداب وعدم التعاون معها، وبرز الطابع المناهض للاستعمار، بشكل جلي، خلال التظاهرات والصدامات التي وقعت في تشرين الاول (اكتوبر) من العام ذاته، والتي لم تتخللها، للمرة الاولى، مواجهات بين العرب واليهود. وفي ظل هذه المناخات، قام الشيخ عزالدين القسّام بمحاولته لتفجير الثورة المسلحة ضد الحكم البريطاني، وأرغم باستشهاده، الذي كان له صدى كبير في فلسطين، قيادة الحركة الوطنية على انتهاج سياسة أكثر حزماً في مواجهة البريطانيين[٣٨]. وتمثّلت ذروة التحول الى طريق مكافحة الاستعمار في اندلاع الاضراب العام في نيسان (ابريل) ١٩٣٦ وانطلاقة الثورة المسلحة. ومع ذلك، فقد دلّت الاحداث اللاحقة على ان التيار المهادن لبريطانيا لم يفقد تأثيره، كلياً، في إطار الفكر السياسي والحركة الوطنية الفلسطينية، وهو ما تجلى في عودة قيادة هذه الحركة الى سياسة ارسال الوفود الى بريطانيا والبحث عن حلول وسط معها. ومن جهة أخرى، أظهر توجه رئيس اللجنة العربية العليا، الحاج محمد أمين الحسيني، الى نسج علاقات التحالف مع النازية الالمانية، ان التيار الوطني، الذي دفعته الظروف الى اتخاذ موقف حازم في مواجهة بريطانيا، بقي، هو الآخر، عاجزاً عن استيعاب ظاهرة الامبريالية الحديثة.

من الرفض الى التخبط

كيف تصوّر الفكر السياسي الفلسطيني، بتياراته المختلفة، مستقبل فلسطين؟ وما هي الحلول التي اقترحها لحل «العقدة» التي نشأت عن الصراع الذي دار على الارض الفلسطينية؟ وكيف جرى التعامل مع الحلول التي اقترحتها القوى الاخرى المشاركة في هذا الصراع[٣٩]؟

لقد رأينا بأن الوطنية الفلسطينية، بأشكالها الاولى التي ظهرت قبل الحرب العالمية الاولى، كانت عاجزة، لاعتبارات موضوعية، عن تصور قيام كيان سياسي مستقل في فلسطين. وبعد انهيار الامبراطورية العثمانية، وخلال الفترة الانتقالية القصيرة بين هيمنة القومية العربية وانطلاقة الوطنية الفلسطينية، طُرحت فكرة استقلال فلسطين في إطار الدعوة الى ضمان استقلال سوريا الطبيعية وتحقيق وحدتها. ثم فرضت ظروف التجزئة الاستعمارية على الوطنية الفلسطينية ان تطرح بنفسها تصوّرها لمستقبل فلسطين، فجاء، في هذا السياق، مطلبها باقامة حكومة وطنية مسؤولة أمام مجلس نيابي. وبالرغم من ان هذا المطلب بقي عائماً، ولم تتحدّد مضامينه بشكل واضح، الّا أنه كان يعني ان تنبثق حكومة مسؤولة عن ادارة شؤون البلاد، عن مجلس نيابي يتمثّل فيه سكان فلسطين بحسب نسبهم، بمن فيهم اليهود الذين كانوا يقطنون في البلاد قبل الحرب العالمية الاولى، ويُعترف بوجودهم الشرعي فيها، وتبلغ نسبتهم حوالى ٧ بالمئة من مجموع عدد السكان. ولكونها بقيت تهادن بريطانيا طوال مرحلة العشرينات، لاعتبارات عديدة ذكرناها سابقاً، أحجمت الوطنية الفلسطينية عن